



جاء سقوط دوما ليشكل محطة مهمة في المسألة السورية، كونها تعد آخر معقل للمعارضة السورية المسلحة في محيط العاصمة التي ظلت تعاني منذ عام 2012 من الضغط العسكري للمعارضة، وظهر أن روسيا التي تقود عملية تأمين دمشق تريد أن تذهب بعيدا، لتصل حتى مدينة إدلب، لأنها لن تجد بعد الآن من يتصدى لها على الأرض، وهذا ما تقوم به اليوم من عمليات تهجير من القلمون الشرقي في طريق التقدم نحو المعاقل الباقيه للمعارضة المسلحة في ريفي حمص وحماه.

الورقة الأساسية في يد روسيا أن ميزان القوى على الأرض بات لصالحها، وسط تراجع خيارات المعارضة المسلحة التي خسرت مواقعها الواحد تلو الآخر من حلب في نهاية 2016، وحتى الغوطة الشرقية، ولم يعد لديها سوى إدلب التي تعتبر ساقطة عسكريا، كونها تعيش مواجهات مفتوحة بين جبهة النصرة وبقية أطراف الفصائل المسلحة منذ عدة أشهر، الأمر الذي أحدث حالة من الإحباط وسط الحاضنة الشعبية للمعارضة، تمهد الطريق لعودة النظام إلى هذه المناطق بأقل التكاليف .

لكنّ تقدم روسيا ميدانيا على المعارضة لا يعني نهاية للأزمة السورية، فهي مستمرة في المدى المنظور، ومفتوحة على احتمالات تصعيد عديدة، روسي أمريكي، وإيراني إسرائيلي، والأمر الثابت أن تل أبيب وواشنطن على الموجة نفسها في ما يخص دور إيران في سورية، وهو تلقيان عند تحجيم هذا الدور في الوقت الحاضر على الأقل، وهو ما يهدّد بتوسيع نطاق المواجهة نحو لبنان.

ومن تطور إلى آخر، يتأكد في كل مرة أن بشار الأسد ليس أكثر من ورقة في اللعبة، وتبيّن من مجريات الضربة الثلاثية

أخيراً أنه ليس هناك من هو قادر على حمايته، ولو أرادت الأطراف الثلاثة التي وجهت الضربة استهداف رأس النظام لفعلت ذلك، لأن روسيا وطهران لم تتمكنَا من صد الصواريخ التي توجهت إلى مراكزه الكيميائية.

كانت الضربة الثلاثية، الأميركية الفرنسية البريطانية، يوم السبت الماضي، على موقع تابعة للنظام السوري، بمثابة درس بلغ اختصار الملف السوري من الألف إلى الياء، وكشفت حجم دور كل طرف من القوى التي تلعب على الساحة السورية. وعلى الرغم من أنها كانت محدودة، فقد وجهت الضربة رسالة اعتبرها المندوب الروسي في مجلس الأمن "إهانة للرئيس فلاديمير بوتين".

قالت الضربة إن السلاح الكيميائي خط أحمر، ووجهت صفة للروس، لكنها لا تعبر أيضاً عن سياسة أميركية جديدة حيال سوريا. وكما هو معروف، فإنه لا يوجد حتى اليوم من يتبع الملف السوري في الخارجية الأمريكية، على عكس ما هو عليه الأمر في البقاع، وهذا أمر على درجة عالية من الخطورة، وسط هذا الكم الكبير من التعقيدات والتقاطعات التي باتت تنذر بتصعيد أكبر مما هو حاصل، خصوصاً على صعيد الحضور الإيراني، ودور إيران المستقبلي في سورية وموقف إسرائيل الرافض ذلك، وعبرت تل أبيب عن امتعاضها بتوجيه ضربة عسكرية مباشرة إلى قاعدة تيفور الخاصة بالإيرانيين.

تستطيع الولايات المتحدة أن تخرب كل ما بناه الروس في سورية طوال السنوات الماضية، وفي وسعها أن تقلب الطاولة، وتقطع الطريق على أي ترتيباتٍ لا تلبي مصالحها، وتبين خلال الأيام الماضية مدى ركاك الإنجاز الروسي وهشاشته، ومن خلفه الإيراني الذي تم بصرف مئات المليارات، وتقديم تضحياتٍ بشريةٍ كبيرة.

إذا استوعب الروس درس الضربة، عليهم أن يغيروا سلوكهم، ويتوقفوا عن الاستهتار بالموافق الدولية، ومهما امتلكوا من أوراق القوة على الأرض ليس أمامهم سوى مخرج وحيد، هو العودة إلى حل سياسي، من خلال مسار جنيف، ومن دون شروط مسبقة، ولكن على أساس بيان جنيف 1 الذي يتلخص بتشكيل هيئة حكم انتقالية، لا دور لبشار الأسد فيها.

المصادر:

العربي الجديد